العولمة: واقع أم إيديولوجيا؟ في السنوات الأخيرة، وصف نوربرت إلياس بحماس ما نُطلِق عليه اليوم "العولمة": "من الواضح تماماً التحدث اليوم عن البشرية باعتبارها الوحدة العليا للبناء. ولكن عادات الأفراد وتماهيهم مع مجموعات محدودة – وخاصة مع الدول الوطنية – لا تزال متأخرة عن هذه الحتمية" (إلياس، 1991 : 333). كان يرى فيها "المرحلة الأخيرة من عملية تطور اجتماعي طويلة جداً وغير مبرمجة، كانت تؤدي دائماً وبشكل منهجي [...] من وحدات اجتماعية أصغر وأقل تمايزاً، إلى وحدات اجتماعية أكبر وأكثر تمايزاً وتعقيداً" (إلياس، 1991 : 221). خلبل العمدن الماضين، ارتبطت هذه العولمة بسلسلة من العمليات التي حولت حياة سكان الكوكب بشكل عميق، مثل انتشار تقنيات الاتصال الجديدة، والتطور السريع للتجارة الحرة والتمويل الدولي، والهجرة، وتغير المناخ، وبروز الصين والهند والبرازيل كقوى عظمى. تتطلب هذه التحولات إعادة تشكيل على مستوى الأفراد والمجتمعات والمؤسسات (دي مونن، 1999). انخرط علماء الاجتماع في النقاش حول "العولمة" منذ أوائل التسعينات. كان هذا المصطلح يستخدم في الممام الأول في العلوم الالتصادية لبل ذلن. وخلبل مؤتمر جمعية السوسيولوجيا الدولية عام 1993في مدريد، وُزع الكتاب الجماعي "العولمة، المعرفة والمجتمع" (ألبرو/كين، 1993) على 4333مشارن. رغم أن العولمة ذُكرت في العديد من ممالات RS&A1 لم يخصص أي عدد بالكامل لها، ولم تُناقش إلا للّل من الممالات النماش المفاهيمي لهذا المصطلح. في العلوم الاجتماعية الناطمة بالإنجليزية، أصبح مصطلح "العالمي" واسع الاستخدام إلى درجة لد يتساءل البعض إن كان لد فمد جاذبيته الاستكشافية. كان الأمر مشابهاً إلى حد كبير بالنسبة لمصطلح "العولمة". ذهب أنتوني جيدنز (1999) إلى حد تعريفه بأنه "الطريمة التي نعيش بها اليوم، ...[] الطريمة التي تم بها تنظيم الحياة الاجتماعية في المكان والزمان". يرى أنصار العولمة أن العولمة لد غيرت حياة سكان الكوكب بسرعة لا يوجد لها مثيل في التاريخ. أدى سموط جدار برلين إلى إضفاء طابع مسرحي على هذه الحمبة الجديدة. شهدت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات تطوراً هائلاً لب، خاصة مع الإنترنت والهواتف المحمولة التي كانت شبه غير معروفة في أوائل التسعينات. تميز العمد التالي أيضا باتفالات التجارة الحرة وفتح الحدود التجارية، مما بلغ ذروته بدخول الصين إلى منظمة التجارة العالمية (WTO) في .2331 عام على العكس، يملل "المشككون" من أهمية هذه العولمة. سنستعرض تباعاً ثلبثة حجج طرحها منظرون يمكن ربطهم بهذا التيار "المشكن "Sceptique في دراسات العولمة، حتى وإن لم يُشيروا إليها بشكل صريح. تأتي كل حجة من هذه الحجج لتوازن بعض الإفراط في نظريات وتصورات "العالمين". يُعد أخذ حجج "المشككين" و"المؤيدين" بعين الاعتبار، دون الاستسلبم للئفراط في كلب الموالفين، خطوة نحو منهجية تجعل من العولمة إطاراً محفزاً للتفكير في عالم اليوم. ## من هيمنة الشمولي إلى تمفصل المستويات يدعو مشيل فيفوركا (2008) علماء الاجتماع إلى المبام بـ"لفزة تحليلية كبيرة" من خلبل تركيز تحليلبتهم على مستويين يكتسبان أهمية متزايدة: الفرد والجوانب العالمية. يواصل بذلن تطوير منظور أنتوني جيدنز (1991) الذي أشار إلى أن إحدى "الخصائص المميزة للحداثة 2بمعنى كونية4 وهي الترابط المتزايد بين "طرفي" الامتداد والمصد: تأثيرات العولمة من جهة، والنزعات الشخصية من جهة أخرى" (جيدنز، 1991 : 1). لربط هذين المطبين، يضع كيفن ماكدونالد (2006, 2007) مفهومي "الحركات العالمية" و"الذاتية" في صلب تحليله، بينما يعتمد ج. جورس (2007) بدرجة أكبر على مفهوم "الشبكات"، وهي أشكال تنظيمية مرنة وأفمية مستوحاة من أعمال مانويل كاستيلز (1998). ضد نماذج التجرد والعموميات التي هيمنت لفترة على علم اجتماع العولمة، أصبح من الضروري عدم نسيان السياق المحلي للظواهر أو الفاعلين الذين لديهم بُعد دولي، وهذا يتكرر كتيمة في ممالات وأبحاث RS&A حيث تُظهر دراسات الحالة التي أجراها أ. م. فيلمنوت في أوزبكستان (2006) وي. داستو وب. ج. لوران في بوركينا فاسو (2006) تنوع الإسلبم وتتنالض مع النظريات التي تختزله إلى كتلة ثمافية متجانسة (هانتنغتون، 1999) أو التي تربط بين العولمة والتجانس الثمافي بسرعة كبيرة. وكما يرى جون أوري (2003)، نبه استكشاف العولمة كعالم متعدد ومعمد (فيردمان/راندرنا، 2004) فالمجتمع الأكثر "عولمة" لا يعني أنه "منزوع المحلية". تبرز معظم الأبحاث، حتى تلن التي تركز على تنفيذ برامج دولية، أهمية الخصوصيات المحلية والوطنية وديناميكياتها المرتبطة بتلن الإطارات. تُظهر الملفات المخصصة لإدارة الأعمال في ظل العولمة (2009، تحت إشراف ج. ل. مينزير) أن العولمة تؤدي بالفعل إلى تغير بعض الممارسات، مثل فرض معايير محاسبية دولية والانفتاح التجاري. ومع ذلن، يبمى السياق المحلي مهيمناً ويؤثر في كيفية تطبيك المعايير الدولية (لونغوين، 2009). لمد أولريش بين (1997، 2006) حجة ضد "النزعة الوطنية المنهجية Nationalisme", Le méthodologique أي اعتبار الدول الإطار الرئيس للتحلل في العلوم الاجتماعية، وهو ما لم يعد يتماشى مع واقع أصبح أكثر عولمة ومحلية. لكن بين وجهة نظر إيمانويل والرشتاين (1999 : 19) الذي يرى أن "في المرحلة الانتمالية الحالية، يمكن العمل على المستويين المحلي والعالمي، ولكن من غير المجدي نسبيًا العمل على مستوى الدول"، وفي وجهة نظر العلماء السياسيين الذين يحللون حتى أكثر الفاعلين عالمية في إطار وطني (أريكولانسكي/فيلوز/ماير، 2005)، فإن نهجا مثيرا للبهتمام يكمن في اعتبار أن المستوى الوطني

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي

ضروري لفهم الواقع المعاصر، بشرط أن لا متصر التحلّل علّه بل أن دمج فً سّاق تداخل مع مستوّات أخرى. بدلاً من التركّز على منظور دلّك (مّكرو) أو واسع (ماكرو)، محلً أو عالمً، تدعو هذه الأبحاث إلى ربط المستوّات المختلفة. "التفاعل بّن الحمائك المحلّة وعملّات العولمة" هو الخّط الرئّسً فً العدد الخاص بالإسلبم فً مجلة Recherches Sociologiques et Anthropologiques (داسّتو، 2006: 1). تشكل أعمال ب. مارشال حول جماعة الإخوان المسلمّن فً أوروبا (2006) مثالاً ممتازًا على ذلن. فً أوروبا، تمتلن هذه الجماعة أبعادًا متعددة عبر الحدود؛ فهً نشأت من الشتات وتظل متأثرة بعمك بهوّة إسلبمّة عالمّة مرتبطة بمفهوم الأمة. ومع ذلن، لم منعها ذلن من تطوّر جذور محلّة عمّمة، حّث توجهها التضامنات والاحتّاجات المحلّة. لمد تم التفكّر فً المستوّات المحلّة والوطنّة والدولّة لفترة طوّلة على أنها متعارضة، بّنما فً الحمّمة أن تكاملها وتفاعلها هو ما فتح آفالًا مشجعة لفهم أفضل للواقع المعاصر (ساسّن، 2007؛ فرّدمان، 2005). ## واقع جدّد أم دّنامّكّة عمرها قرون؟ على عكس "المؤّدّن" الذّن رون أن العولمة المعاصرة ظاهرة خاصة بزمننا الحالً، عتبر "المشككون" أنها لّست سوى امتداد لعملّة تمتد عبر لرون. لا خفً إمانوّل والرشتاّن تشككه فً الأهمّة الاستكشافّة لمفهوم العولمة الذي عتبره "مفهوًما تحلّلًا ّر مفّد" (والرشتاّن، 2003: 28). رى أن التطورات المعاصرة ه مجرد تكثّ للروابط والتبادلات والآلّات النظامّة للبلتصاد العالمً التً تعمل منذ نص لرن. ضع الكتاب التارّخً الأخّر لإمانوّل والرشتاّن (2011) فً منظور شامل تطورات كبّرة عبر المرون، وأًضا استمرار بعض الآلّات الهّكلّة لعمل الالتصادّات العالمّة التً أبرزها فً تحلّله للنظام العالمً فً المرنّن السادس عشر والسابع عشر. من بّن هذه الآلّات تمسّم العمل بّن مناطك العالم المختلفة، وعدم تطابك الوحدات السّاسّة والالتصادّة، والنزعات الحمائّة فً بعض مراحل النمو الالتصادي لدولة معّنة. لا تصمد النظرّات الالتصادّة التً تجعل من الانفتاح التجاري والتبادل الحر محور سّاسات التنمّة فً البلدان الألل تطورًا أمام هذا التحلّل التارّخً. على العكس، فمد كان اعتماد تدابّر حمائّة فً المرحلة الأولى من التطور الصناعً أحد العوامل التً ساهمت فً النجاح الالتصادي للنمور الآسّوّة خلبل العمود الأخّرة من المرن العشرّن، ومؤخرًا، الصّن. تُظهر التحلّلبت التارّخّة لإمانوّل والرشتاّن (2011) وإرّن هوبزباوم (1997) أًضا أن التجارة الحرة لا تدوم عندما تصبح عمبة أمام استمرار الهّمنة. توضح أعمال والرشتاّن ثراء تحلّل العولمة المعاصرة على ضوء تارّخ التصادي متد لعدة لرون. ولكن، هل عنً ذلن إنكار بعض الخصائص الممّزة للتحولات المعاصرة؟ هل مكن اختزال التطورات مثل تكنولوجًا المعلومات والاتصالات الجدّدة، والمضاًا البنّة المتعلمة بتّر المناخ وا ستنزا الموارد، أو صعود الصّن كموة عظمى إلى مجرد امتداد لاتجاهات وآلّات تعود لعدة لرون؟ ## العولمة: واقع أم إدّولوجًا؟ انتمد بعض المحللّن الطابع الأدّولوجً للخطابات والدراسات المتعلمة بالعولمة، مستندّن إلى حججتّن البًا ما تكونان متشابكتّن. رى الأول أن العولمة ه أدّولوجًا تروج لرسالة النخبة العابرة للحدود، التً توص أحّانًا بـ "الكوزموبولّتّة" (فرّدمان، 1999). أما الحجة الثانّة فترفض فرض روّة للعالم مهّمنة على أساس متطلبات العولمة الالتصادّة النولّبرالّة. فً ممابل الأنثروبولوجًا الشمولّة لأرجون أبادوراي (2000) التً تضع الفاعلّن المتنملّن والثمافات العابرة للحدود فً الصدارة وتفصل الهوّات عن الأراضً لتحولها إلى "مناطك اثنّة"، "ethnoscapes نتمد ج. فرّدمان (2005) العولمة باعتبارها خطابًا روج للرسالة الأدّولوجّة لنخبة عابرة للحدود تملن الموة الالتصادّة وتنتمص من لّمة الارتباط بالمحلً.) أًضا 2003(، شّر ج. ل. متزجر و ب. برّ فً مجلة Recherches Sociologiques إلى دور هذه النخب العابرة للحدود التً لا مكن تجاهلها عند تحلّل العولمة المعاصرة. بعض مكونات هذه النخب الكوزموبولّتّة استفادت من التروّج لهذه الروّة للعالم، سواء لفرض لواعد التجارة الدولّة التً كانت تصب فً مصلحتها (اتفالّات التجارة الحرة، المنافسة بّن العمال، تفكّن دولة الرفاه الاجتماع، إلخ) أو للتهرب من المّود التً تفرضها الجهات الفاعلة الوطنّة، وخاصة فً المجال الضرّبً (كوهونّن/مّستروم، 2003). ربط بعض الباحثّن العولمة بفرض سّاسات التصادّة نولّبرالّة وبهّمنة "اتفاق واشنطن" (هّلد، 2007). تمثل التحدي فً علم الاجتماع فً تجاوز هذه الأدّولوجّات للكش عن الصراعات بّن الفاعلّن أو الحركات الاجتماعّة حول تعرّ وتطبّك مشروع تحدّثً ج سدته العولمة. لا مكن تجاهل تأثّر الأدّولوجّات والخطابات التً تروج لها بعض الجهات الفاعلة العابرة للحدود على مسار العولمة. لكن هل العولمة مجرد خطاب وهّمنة؟ من الصعب إنكار الواقع الموضوعً لبعض التحولات التً أحدثتها. جمع البُعد الموضوعً للعولمة معظم الدّنامّكّات التً جمعها . داسّتو (2006: 4) تحت مصطلح "الكوكبّة :"planétarisation زّادة التبادلات العالمّة، تنمل الأشخاص، التمنّات الجدّدة، التحولات فً الحكم العالمً وتشابكاته المؤسسّة، التّرات فً عالم الإنتاج الذي أصبح كتسً طابع "الما بعد فوردّة" (كاستّلز، 1998) أو الأهمّة المتزاّدة للبلتصاد ّر المادي (كوهّن، 2004). والع العولمة ذاتً أًضا. إنها روّة للعالم) ، (Weltanschauung تتسم بتّر جذري فً تصورنا للزمان والمكان (هارفً، 1993) لمد ّرت

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي

التكنولوجيًا الحديثة طرّمتنا فً روؤة العالم. "عالمنا" الّوم هو الأرض. إنه بالطبع أكثر اتساً عا من العالم الذي عاش فّه أسلبفنا، ولكنه أًضا ولأول مرة، عالم محدود. وّساهم ظهور الأخطار العالمّة (النووّة، تّر المناخ) فً تعزّز الوعً بمصّر مشترن للبشرّة (ألبرو، 1996). ّسمح هذا التمّز الاستكشافً بّن الأبعاد الموضوعّة والذاتّة للعولمة بتسلّط الضوء على مجالّن من البحث والنماشات الفكرّة. أولاً، إذا كانت العولمة روؤة للعالم، فإن هذه الأخّرة تمثل ساحة صراعات بّن فاعلّن اجتماعّن مختلفّن ّسعون لفرض روؤتهم للعولمة على المجتمع بأسره. تمدم الفجوات بّن الأبعاد الموضوعّة والذاتّة للعولمة مجا ًلا آخر ّل ّنًا للّأة. ففً بعض الحالات، تبدو رؤى العالم أكثر عولمةً من الوالع الفعلً. كما ّشّر روبرت رأش (1993، نملبً عن مّتزجر/بّر، 2003: 113) فإن هذا لد ّؤدي إلى سوء فهم للآلّات المعنّة وإلى روؤة متمادمة للتوازنات. ونتّجة لذلن، ّتملص تأثّر هؤلاء الفاعلّن ولدرتهم على الفعل الاجتماعً (بلبّرز، 2013). لذا، تُعزى إحدى المهام إلى العلوم الاجتماعّة، والمثمفّن، وفاعلّن اجتماعّن مثل حركة مناهضة العولمة، وهً المساهمة فً تعزّز الوعً بـ"الوضع العالمً" (ألبرو، 1996) للفاعلّن الاجتماعّن، بهد تعزّز لدرتهم على التأثّر وتمكّنهم من التأثّر على المرارات التً ستؤثر على حّاتهم (هّلد، 2007). ## عولمة بدون فاعلّن؟ "الخطابات التً تؤكد أن العولمة هً ظاهرة التصادّة بالدرجة الأولى، أو حتى الوحّدة، ترتبط عمو ًما بتأكّد حتمّتها: فالدول، وبالأحرى المواطنون، لّس لدّهم خّار سوى التكّ مع لواعد الالتصاد العالمً والانخراط فً منافسة دولّة فً محاولة للبستفادة منها بأفضل شكل. كما لالت السّدة تاتشر: "لا ّوجد بدّل". فهل العولمة لدر لا مفر منه، عملّة حتمّة لا ّستطّع الفعل الإنسانً التأثّر علّها بشكل كبّر، وّبدو أنها تتطلب انفتا ًحا تجارًا وتعزّز هّمنة الأسواق؟" "ؤدي هذا الخطاب إلى التملّل من شأن إمكانّات تنظّم الحكومات واتخاذها إجراءات (ثومبسون، 1999؛ ساسن، 2006؛ راندّرًا، 2007). تُظهر س. ساسن بوضوح أن العولمة لّست مجرد إلاء للتنظّم. بل هً، على العكس، تُنتج وتُضبط بمجموعة كبّرة من المعاّر والمواعد المعتمدة على المستوى الوطنً." لمد فمدت بعض الأسس التً اعتمد علّها الفاعلون الاجتماعّون لتحمّك التّر الاجتماعً خلبل المرن العشرّن فعالّتها (رم أنها لم تخت تما ًما). وهذا هو الحال، على سبّل المثال، بالنسبة للئجراءات التً كانت تستهد الحكومات الوطنّة. فلب تزال هاته الحكومات تتممص دور اللبعبّن المؤثرّن، لكنهم لم ّعودوا وحدهم فً مركز اللعبة. بع ا عن كونها "نظا ًما بلب فاعلّن"، تؤدي العولمة إلى إعادة تشكّل عمّمة لمدرات الفعل. "تمثل العولمة تحدًا للفاعلّن الالتصادّن والسّاسّن والاجتماعّن، ولكنها تمدم أًضا فر ًصا جدّدة." ## خلاصة: "تؤدي العولمة إلى إعادة النظر فً مسألة التّر الاجتماعً ولدرة الفاعلّن الاجتماعّن على الفعل." "لمد أدى النجاح الكبّر الذي حممه مفهوم العولمة فً العلوم الاجتماعّة إلى ظهور موال متطرفة ومبال فّها فً كثّر من الأحّان، سواء من لبل أنصارها أو منتمدّها، وأثار نماشات مشحونة بالأّدولوجًا. لمد تم استخدامه على نطاق واسع ولّد الكثّر من العواط والنماشات لدرجة أنه فمد فً بعض الأحّان كل لّمته الاستكشافّة." "لا ّمكن لعلم اجتماع دلّك أن ّكون مع أو ضد العولمة". إن عدم الانجرا وراء مبال ات المؤّدّن للعولمة أو المتشككّن فّها ّسمح بوضع الأسس لمنهج ّجعل من العولمة إطا ًرا محف ًزا للتفكّر فً تحدّات العالم المعاصر وفاعلّه.

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي